

مقرب إيتقي للفضاء السيبراني: نظرية العدالة عند جون راولز أنموذجا

بلقاسم أمين بن عمرة
جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،
amin.benamra@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019 /07 /31؛ تاريخ القبول: 2019 /11 /21

Ethical Approach into Cyberspace: John Rawls' Theory of Justice as a Model

Abstract:

The present study aimed at employing the American philosopher John Rawls's justice as a fairness paradigm as a theoretical approach to interact with the ethical and normative questions imposed by cyberspace, and as an epistemological basis for the theorization of the concept of cyberethics. The study also approached the behavioral and normative shifts of Internet users and the stakes of their ethical commitment within cyberspace from a socio-psychological angle. Furthermore, the study examined the cyberethics as a theoretical concept and its role as framing normative framework for the virtual behavior, in an attempt to broaden the ethical debate on cyberspac, by presenting Rawls'

perspective as a theoretical and normative support for establishing cyberethics.

Keywords: Ethical Approach; Cyberspace; Ethicalization; Virtual Behavior; Cyber ethics.

الملخص:

استهدفت الدراسة الحالية توظيف براديجم العدالة كإنصاف للفيلسوف الأمريكي جون راولز (1921-2002) (John Rawls) كمقاربة نظرية للتفاعل مع المسائل الأخلاقية والمعيارية التي يطرحها الفضاء السيبراني، و كأرضية إبستمولوجية للتقعيد لمفهوم الاخلاقيات السيبرانية. وبُحثت الدراسة في مختلف التحولات على المستوى السلوكي والمعياري لمستخدمي الانترنت ورهانات التزامهم الاخلاقي داخل الفضاء السيبراني من زاوية سوسيو-نفسية. كما تناولت الدراسة الأخلاقيات السيبرانية كمفهوم نظري ودورها كمساير معيارية مُؤطرة للسلوك الافتراضي، في إطار محاولة توسيع دائرة النقاش الايتقي حول أخلقة الفضاء السيبراني، عن طريق طرح منظور راولز كمُسْتَد نظري ومعياري لارساء الاخلاقيات السيبرانية.

الكلمات المفتاحية: مقرب إيتقي؛ حيز سيبراني؛ أخلقة؛ سلوك افتراضي؛ اخلاقيات سيبرانية.

مقدمة:

سَنحت تكنولوجيات الاتصال الجديدة بِجَلق فضاءات سبرانية شَكَلت وعاءات جديدة للأنشطة الاجتماعية الروتينية ورسمت لها استوظافات وأبعادا جديدة بكل ما تحمله من كثافات وتعقيدات، مما أدى إلى نشوء وضعيات مركبة وغير قابلة للفهم والتنبؤ بها في وقتها، نظرا لعدم وجود استراتيجيات مُسبقة للتعامل الفعال معها والاستجابة لتعقدّها التقني والاجتماعي والايتقي والمسطري، وفي مُحصلّة الأمر حالات من الفراغ على مستوى السياسات والاستراتيجيات التي تضبط الاستشكالات الناشئة.

فمع زيادة التأثيرات الاجتماعية social impacts للتكنولوجيات الجديدة وتزايد حُضورها في الفضاء الاجتماعي اليومي، تزد المعضلات الأخلاقية والمعيارية التي تطرحها (Moor,2005 :111). فبعد استحكام تكنولوجيات الاتصال الجديدة في بنيات المجتمع وإستدماجها في مختلف قطاعاته و هياكله، تزايدت مظاهر الاعتماد الواسع النطاق عليها خصوصا شبكة الانترنت، وامتدت استعمالاتها الوظيفية إلى مختلف الأنشطة اليومية day-to-day activities التي تشمل التفاعل الاجتماعي وصيانة العلاقات الاجتماعية والتواصل المهني والمعاملات الاقتصادية والتجارية والترفيه والتعليم والأمن

المعلوماتي وانجاز الأبحاث الاكاديمية والتعبير السياسي وإدارة البيانات ومعالجة المعلومات. وقد نتج عن ذلك أهمية استثنائية لهذا المورد التقني الذي أضحي جزءاً صميمياً في أداء مختلف الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية والمعلوماتية والانثروبولوجية. وتبعاً لذلك يُشكل أي استخدام غير مسؤول لهذا المورد الحيوي تهديداً وظيفياً واختلالاً بنيوياً لسائر الأنشطة المجتمعية، ويُصنّف الاستخدام غير المسؤول ضمن التلويّنات المختلفة للسلوك الافتراضي غير الأخلاقي الذي يُهدّد توازن البيئة الرقمية ويضرّ بالحقوق المادية والمعنوية للمستخدمين.

ويتركّز المنشأ الاشكالي للأخلاقيات في ظل البيئات السبرانية في كيفيات و حدود استخدام التكنولوجيات و التطبيقات المتاحة وتجنب السلوكيات اللامعيارية anti-normative behavior بحسب تعبير الباحثين Freestone and Mitchell (2004) والتي تُعكس مُختلف السلوكيات والممارسات التي ينخرط فيها المستخدمون داخل الفضاء الافتراضي باعتباره مجالا مفتوحا للإرادة الحرة للمستخدم كفاعل أساسي خصوصا في ظل غياب الناظم والمنظم التقني والمعياري في غالب الأحيان.

إذ أن رقمنة digitalization حضور الأفراد داخل الفضاء السبراني أدى إلى استيلاد أشكال جديدة للفعل الاجتماعي وأنماط

مستحدثة للسيرورات الجماعية وخلق مفاعيل سوسيونفسية خاصة بهذا المجال الاجتماعي الجديد new social realm الذي أضحي مجالا للتعبير وانتاج سلوكيات أنوية ذاتية لا تمثل لأي رادع ولا تنضبط بأي كوابح معيارية أو قيمية، إذ يُمكن للمستخدمين، وفي ظلّ الحسّ السائد بالحرية المفرطة extreme sense of freedom ، سلوك أي مسلك وإنتاج أي خطاب في شكله السوي وغير السوي وفي الاخير الانسحاب log off بكل مرونة و دون عواقب مترتبة عن ذلك في الغالب.

من جهة أخرى، ورغم تعاضم وتأثير الاشكاليات الاخلاقية والايثقية التي يطرحها الفضاء السيبراني وتزايد مدلولاتها تركيبا وتعقيدا، إلا أنه يُمكن لنا أن نُشهد على مُعطى الندرة الذي يحكم الدراسات الميدانية والأبحاث النظرية في مختلف الحقول المعرفية المتعلقة بالمسائل المعيارية و الأخلاقية التي تُعنى برهانات الفضاء السيبراني، حيث تُركّز جُل الدراسات في ذات المجال التخصصي على الجوانب الاقتصادية والتسويقية والاستراتيجية والسوسيولوجية للاستشكالات التي تُطرحها الظواهر السيبرانية. إضافة إلى كل ذلك، لا بد أن نُسلم أيضا بوجود جملة من العوائق المفاهيمية و المنهجية و الميتود-تقنية التي تُحد من دينامية التفكير الاخلاقي ethical reflection في الفضاء

السيبراني وتُعطل مُحاولات استقصاء المسارات المتعرجة للتفاعل التكنو-اخلاقي بداخله.

وفي هذا السياق الاشكالي يأتي إسهامنا البحثي للتفاعل مع المسائل الاخلاقية السيبرانية في مختلف تمفصلاتها وتقاطعاتها، وكمحاولة لاستيلاد العناصر الأساسية لبناء مقارنة معيارية لتخليق الفضاء السيبراني وترشيد الفعل السيبراني، عن طريق استلهام التراث النظري للفيلسوف الأمريكي جون راولز John Rawls الذي يظهر على نحو خاص في مؤلفه المرموق نظرية في العدالة *A Theory of Justice*، أين طرح نظريته المعيارية التي تقوم على عقد تعاقدات اجتماعية جديدة تتم بموجبها تسوية التصادمات الاجتماعية و حل الإشكالات الأخلاقية داخل الفضاء الاجتماعي بناءً على مبدأ الإنصاف principle of fairness، خصوصاً في ظل التفاوتات و تضارب المصالح و تُعقد الواقع، وبالمحصلة فقد نجح راولز، رغم الانتقادات التي تفاعلت مع طرحه النظري، في بناء تصوّر عملي و مفيد لعدالة يستجيب للإشكالات الأخلاقية الواقعية ضمن المعيش اليومي للأفراد وتنعكس أولوية معيارية يتم بموجبها تقييم مختلف الممارسات الاجتماعية على أساس مدى انتظامها وانسجامها مع مبدأ الانصاف ووفق تصوّر أخلاقي يُرضي جميع الأطراف، فهل سينجح هذا التصور النظري في حل الاستشكالات

الاخلاقية والمعيارية التي يطرحها استخدام الفضاء السيبراني على
المستوى الفردي و الجمعي؟ وهل سيَسد الخصاص النظري المعياري
الذي يعتور الجهود الراهنة لأخلاق الفضاء السيبراني ؟

I.مدخل مفاهيمي:

تفرض علينا الصرامة المنهجية قبل الولوج إلى صلب الاشكال
الذي نحن بصدد تناوله، ضبط المفاهيم المركزية التي تُهيكل موضوع بحثنا،
بالقدر الكافي من الدقة و التحديد، إذ أن التحديدات المفاهيمية خطوة
غائية ودالة تُجنبنا التأويلات المتباعدة في المعنى والفهم، وثمكنا من
تمثيل مدلول المفاهيم على وجه الدقة والمظبوطية. وسنحدد في هذا
المدخل ثلاثة مفاهيم رئيسية متصلة بتيمة بحثنا، وهي الفضاء
السيبراني، الاخلاقيات السيبرانية ونظرية العدالة عند راولز.

1- الفضاء السيبراني:

يُمثل الفضاء السيبراني حيزا تُولد عن الاتصال الوسائطي
والربط مع الانترنت (computer-mediated communication) وهو
يحوز جُلّ خصائص الفضاء الاجتماعي من حيث كونه مساحة
للتواصل والتفاعل و تأدية الأنشطة الروتينية و التعبير عن الهوية
الفردية و استعراض الذات وبناء العلاقات الاجتماعية. و ظهر

مصطلح 'الفضاء السيبراني' cyberspace لأول مرة سنة 1982 في القصة الأدبية القصيرة 'Burning Chrome' لمؤلف الخيال العلمي الأمريكي ويليام جيبسون (William Gibson) والذي إستخدم المصطلح للإشارة إلى الواقع الافتراضي الذي يُنتجه الحاسوب، وترسخ المصطلح أكثر بعد استخدامه للمرة الثانية في رواية 'Neuromancer' سنة 1984 من طرف ذات الباحث (Kneale J,1999:207).

وأصبح المصطلح أكثر شيوعاً في فترة التسعينات عندما تنامت استخدامات الإنترنت ووسائط الاتصال الشبكي بشكل دراماتيكي ، حيث أصبح مصطلح الفضاء السيبراني قادراً من الناحية الدلالية على تمثيل العديد من الظواهر الجديدة التي ظهرت مع انبلاج المنصات الرقمية (Strate Lance,1999:383).

من الناحية الاشتقاقية يتشكل المصطلح من الجذر 'cyber' المشتق بدوره من الكلمة اليونانية 'kybernetes' التي تعني الموجه أو القائد، كما يرتبط الجذر 'cyber' أيضاً بكلمة 'cyborg' ، والتي تُستعمل لوصف حالة ترابط جسم الإنسان بالآلة الناتج عن وصله بأجهزة وتقنيات عالية التطور و التعقيد (Zhai Philip,1998).

وتم تعريف الفضاء السبراني على أنه حيز سوسيو مكاني أنتجه الدمج بين التكنولوجيات الوسائطية والانترنت ضمن مصفوفة تشابكية تُتيح انتاج وتبادل مختلف أشكال البيانات والمضامين النصية والسمعية-البصرية والتفاعل بين المستخدمين بكيفيات محكومة بأطر الواقع الاجتماعي وأنظمتها الثقافية ورموزه التداولية ومحدداته (Teixeira Marcelo Mendonça, 2012).

كما يُحيل مفهوم الفضاء السبراني إلى البيئات الرقمية الناتجة عن الربط بالانترنت والتي تمتلك بعضاً من الخصائص المكانية والإعدادات الاجتماعية social settings التي تُميز الفضاءات الاجتماعية التقليدية (Stefik, 1997: xx-xxi). ويرى الباحثان Chip Morningstar & Randall Farmer أنه ينبغي تعريف الفضاء السبراني في ضوء التفاعلات الاجتماعية والانثربولوجية التي يحتضنها والأنساق الثقافية لمستخدميه بدل الاختصار على المحددات التكنولوجية (Morningstar Chip & F. Randall Farmer, 2003: 664). وفي هذا الصدد، لا ترتبط خصوصية الفضاء السبراني بإعادة إنتاجه للشروط الاجتماعية والثقافية الموجودة في البيئات الفيزيائية، ولكن في الامكانيات الغير المحدودة التي يتفرد بها و فرص إفراز أنماط ثقاف و تفاعل جديدة و استنبات هويات و بنى انثربولوجية مغايرة

من شأنها التأثير على تلك الموجودة سابقا في العوالم الاجتماعية الفيزيقية .

2- الاخلاقيات السيبرانية:

يُحيل مفهوم الاخلاقيات السيبرانية إلى معنيين أساسين. المعنى الأول يشير إلى حقل أكاديمي فرعي sub-field ضمن حقول الأخلاقيات التطبيقية applied ethics ، يختص بمقاربة الأبعاد الاتيقية والقانونية و التنظيمية التي تنتج عن تقاطعات استخدام تكنولوجيايات الإعلام والاتصال و الانترنت ضمن السياقات الروتينية (Tavani, 2011). في هذا المنحى، ينصب التركيز على سلوك المستخدم user behavior ومسالك إستوظاف هذا الأخير لما تُتيح له التكنولوجيايات الجديدة المرتبطة شبكيا،وكيفيات تأثير هذا الاستخدام على المستخدم ذاته وعلى المجتمع من منظور ايتقي و أخلاقي بحت (Kizza Joseph Migga,2014). ومن بين أهم المسائل والقيم التي يتم معالجتها ضمن هذا الحقل الأكاديمي الحق في الخصوصية، صيانة الملكية الفكرية، الأمن السيبراني، الجرائم الالكترونية، القرصنة والتشهير(Tavani, 2013:566).

أما بالنسبة للمعنى الثاني للأخلاقيات السبرانية، فيشير إلى جملة النواظم المعيارية و الالتزامات الاخلاقية التي تُشكل السلوك المثالي الذي ينبغي أن ينظبط به مستخدم الانترنت وتكنولوجيات الاتصال الجديدة المرتبطة بها (Whittier David,2007: 03). أي بمعنى السلوكيات المسؤولة أخلاقيا التي ينبغي أن يتمثلها كل مستخدم للوسائط التكنولوجية المرتبطة بولوج الانترنت أثناء مباشرته لعملية الاستخدام، وخصوصا في جانب تفاعله مع المستخدمين الآخرين (Frohmann Bernd, 2000:425).

3- نظرية العدالة عند راولز:

تُعتبر نظرية John Rawls من أهم التنظيرات في مبحث فلسفة العدالة، وقد استهدفت بالأساس نقل دينامية العدالة من التجريد إلى التجسيد في ظل المجتمعات الراهنة التي تتصف بالتعقيد والتركيب، وإخراجها من المدارات السجالية إلى أفق ترتيب النظام الاجتماعي وأخلقته عن طريق ضمان قسط كافي من العدالة الاجتماعية والإنصاف. وتتأسس نظرية العدالة التوزيعية في جوهرها على رفض النظرية النفعية البرغماتية utilitarianism وتمثل مبدأ العدالة كأهم مُوجه وناظم لأي تنظيم اجتماعي (Rawls,1971:29). وينطلق Rawls من فرضية التفاوت الاصلي وحتمية وجود الفوارق الاجتماعية

والإقتصادية بين الأفراد، غير أنه يُشدّد على ضرورة امتلاك كل فرد لنفس الحقوق والحريات والأفضليات داخل الفضاء الاجتماعي وفق مبدأ إجرائي هو المساواة بين جميع الأطراف في ظل تكافؤ الفرص، وإعادة ترتيب الظروف بحيث يتم توجيه الفوارق في مصلحة كل فرد عن طريق تفضيل مصلحة الأكثرية على مصلحة الأقلية وجواز التضحية بامتيازاتها متى دعت الضرورة لحماية المصلحة العامة وصيانة مصلحة الأقل حظاً والأكثر حرماناً، كل ذلك دون المساس بالحريات والحقوق الأساسية، والسعي نحو توحيد الحقوق والواجبات ضمن أفق من التعاضد بين أفراد المجتمع بحيث لا يحدّ مصلحة الفرد وإمتهاداته إلا حقوق الآخرين ومقتضيات مصالحهم وحقوقهم المكتسبة.

II. الفضاء السبراني و السلوك المعياري، اقتراب سوسيو-نفسى:

شَكل الفضاء السبراني مجالا سوسيو-تقنيا مرنا ومفتوحا احتضن ضروبا ثرية من التفاعل والممارسات الطقوسية وأشكال الفعل المتبادل، وسَهّل من السلوكيات اللامنتظمة معياريا واجتماعيا deregulated behavior، إذ أنه و في ظلّ البيئات الافتراضية online environments تظهر أنماط سلوكية اجتماعية وترتيبات سيكولوجية psychological arrangements مغايرة لما يسود الواقع الاجتماعي الذي يَنْظبط بصرامة القواعد الاجتماعية ويخضع لمتطلبات الصواب

الاجتماعي social rightness، بخلاف النسق الافتراضي الذي يشتمل على جُملة من البواعث التكنولوجية والنفسية والسلوكية التي يؤدي تفاعلها وتشابكها إلى بُروز تحولات سيكولوجية في كفاءات تفاعل الأفراد ومنظومة فعلهم الاجتماعي داخل الحيز السبراني.

وفي هذا السياق يُشير الباحث Pedersen إلى أن الحيز السبراني يُوفّر فضاءً محمياً protected-space يدفع بالأفراد إلى الانسحاق وبشكل إكراهي أحياناً نحو التجريب experimentation وابتكار ممارسات وسلوكيات جديدة new behaviors ومُستحدثة دون الخوف من التقييم السلبي للآخرين ودون ترقبات للترتيبات الاجتماعية وما تُمليه، ويُوفّر ميكانيزم التجريب افتراضياً احساساً أكثر بروزاً للقدرة على التعبير عن الذات self-expression والتصرّف دون قيود (PEDERSEN Darhl, 1997: 149). في سياق آخر، تشير الباحثة Christopherson إلى أن الفضاء الافتراضي يُعدّ منفذاً مثالياً للتنفيس Catharsis وللتعبير غير المحدود عن المكبوتات والانفعالات والآراء المقموعة والمرفوضة مجتمعياً بالنسبة لشرائح واسعة من مستخدمي الانترنت ودون خوف من

الانكشاف أو أن يتم التعرف عليهم ومتابعتهم
(CHRISTOPHERSON Kimberly,2007:3039).

ويطغى على التفاعلات الاجتماعية التي تتم داخل منصات
الفضاء الافتراضي انخفاض في توظيف المنظومة الحسية reduced
sensations للأفراد، إذ لا يمكن لهم رؤية التعبيرات الوجهية ولغة الجسد
body language، ولا سماع التغيرات الصوتية على مستوى النبرة
والتعبيرات أثناء التفاعلات الافتراضية، والتي تتم عادة عن طريق اللغة
المكتوبة typed language و داخل بيئات نصية، وبالتالي فإن التجربة
الحسية sensory experience التي تُنجم عن التفاعل مع الآخرين في
الفضاء السيراني ومحدوديتها تزيد من التعبير الحر للأفراد والتحرر من
أي مراعاة اجتماعية للأطراف التي يتم التفاعل والتواصل معها، كما
أن التواصل النصي text-based form of communication، والذي
لا يزال أكثر أشكال التفاعل الافتراضي شيوعاً سوءاً على مستوى
البريد الإلكتروني والتراسل الفوري والتدوين والكتابة على جدار
فضاءات التواصل الاجتماعي، يتيح مرونة في الهوية identity-
flexibility والتي تنعكس في كيفية قيام الأفراد بتقديم ذاتهم
وهوياتهم self-presentation في الفضاء السيراني، إذ في سياق
التواصل بواسطة النص المكتوب typed text، يبقى لدى الفرد خيار

أن يكون نفسه بشكل كلي أو أن يُعبر عن أجزاء فقط من هويته، أو أن يخلق هوية خيالية imaginative identities، أو أن يبقى مجهول الهوية anonymous وأن يكون غير مرئيا للآخرين . ومن بين الديناميات التي تُفعل التغييرات السوسيونفسية الدالة في سلوكيات الأفراد دينامية مجهولية الهوية anonymity، وقد حاولت العلوم السلوكية والنفسية حصر مفهوم هذا المصطلح في عدم الكشف المقصود والواعي عن الهوية الحقيقية، وتمثلته كآلية لإخفاء الهوية concealment of identity والغاء امكانيات التعرف والتعريف (PEDERSEN Darhl M, 1997:153). و تم تعريفها بأنها حالة من الانفصالية المابين-شخصية التي تستتبع عدم قدرة الآخرين على تحديد هوية الفرد الحقيقية. ويرى الباحث Burkell أن مجهولية الهوية هي مفهوم تكنو-اجتماعي مركب الأبعاد وله تلونات وإيقاعات مختلفة تتدرج من المجهولية النسبية إلى المجهولية الكلية (Jacquelyn, 2006:189).

كما تُحيل مجهولية الهوية إلى التجرد والانزياح من الشخصية بعيداً عن أي إمكانية لتحديد لها أو إلحاقها بالفرد، ويتميز عدم الكشف عن الهوية بمزايا اجتماعية مخصوصة كالمسافة الاجتماعية social distance ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية وعدم القدرة على التمييز بين الآخرين

indistinguishability، وتُنطوي مورفولوجيا الهوية المجهولة على قدرة الفرد في التحكم في حدود وصول الآخرين إلى ذاته وهويته.

وتُتيح مَجْهولية الهوية للأفراد الفرصة لفصل أفعالهم عن عالمهم الاجتماعي الفيزيائي وعن هويتهم الحقيقية، حيث يشعرون بتلاشي العوائق المحورية التي كانت تُصدّهم داخل البيئة الاجتماعية الواقعية، فيحدث نوع من التفكك السيكولوجي (psychological dissociation) ويُحسّ الأفراد بأن ما يقومون به من تصرفات و سلوكيات لا تنعكس بأي شكل من الأشكال على مسارات حياتهم الواقعية، كما يستبطن الأفراد الشعور المريح بعدم تحمل المسؤولية عن ما يصدر عنهم داخل الفضاء الافتراضي.

ومن الناحية النفسية، يَسمح إخفاء الهوية بالاستفادة من آليات فائقة المرونة للتعبير عن الذات self-expression، كما يُقلّل من القلق الاجتماعي social anxiety الذي قد يترتب عن الإدلاء بالآراء التي تنافي المساطير المعيارية والسلوكية المقبولة اجتماعيا، وتخلق مجهولية الهوية أيضا نوعا من الحميمية التي تستخرج الترسبات السيكولوجية داخل المستخدمين.

وفي نفس السياق، تُوصّل الباحث (Hinduja) في دراسته إلى الربط بين مجهولية الهوية في الفضاء السيبراني وبين سلوك تنزيل البرامج بشكل غير قانوني، حيث تمكن الباحث من إثبات فرضية العلاقة الارتباطية بين إخفاء الهوية anonymity واستخدام الاسم المستعار pseudonymity وبين سلوك قرصنة البرامج software piracy (HINDUJA Sameer, 2008:392).

ومن الملاحظ أنه عندما يتم إخفاء الهويات الحقيقية للأفراد، يتم التملص من إملاءات المُواضعات الاجتماعية social norms وترتيباتها الالزامية، وفي التجربة الكلاسيكية السيكلوجية حول نزع الفردية deindividuation، تم إحضار بعض الأطفال الأمريكيين في الاحتفال بعيد الهالوين Halloween وتم دعوتهم إلى منزل مجهّز مسبقاً لأخذ الحلويات من طاولة تم تحضيرها بشكل مسبق وكان بجانب الحلوى مبالغ نقدية من المال، وتم تقسيم الأطفال إلى قسمين، قسمين يرتدي ملابس وأقنعة تنكرية وقسم آخر من الأطفال دونها، بالنسبة للأطفال الذي ارتدوا الأقنعة التنكرية فإن ما نسبته 80% منهم قد قام بسرقة المال الموضوع فوق الطاولة بجانب الحلوى، أما الأطفال الذين كانوا دون ملابس تنكرية وأقنعة، فإن 8% منهم فقط سرقوا من هذه الأموال. وكان الاستنتاج العام أن مجهولية الهوية تُرّتب عنها خرق

للقواعد الاجتماعية المتعارف عليها (POSTMES Tom et SPEARS
(Russell,1998:238).

وقد تم تعريف مفهوم نزع الفردية deindividuation حسب
الباحث Zimbardo بأنه عملية سوسيو-نفسية تُقلل بموجبها بعض
الظروف الاجتماعية المخصصة من الوعي الذاتى للأفراد ودرجة
امتثالهم لقواعد السلوك الاجتماعى المقبول، كما تخفض من منسوب
اهتمامهم بتقييم الآخرين لهم بشكل دال، وبالتالي إضعاف القيود ضد
التعبير عن السلوكيات غير المرغوب فيه مجتمعيًا و معياريًا
(ZIMBARDO Philip G,1969).

ويُشير الباحث Lessig إلى أنه عند مقارنة الفضاء
السيرانى من خلال منظور سوسيو-نفسى يتبين لنا أنه فضاء
يتسم بتوفير غطاء للأفراد يتيح لهم عدم الكشف عن هوياتهم
الحقيقية، إضافة إلى توزيعهم اللامركزي decentralized
distribution جغرافيا وفيزيقيا، ونقاط الولوج المتعددة
multiple points of access أى بمعنى إمكانية الولوج من أي
مكان ومن أي وسيط تقني، إضافة إلى أدوات التشفير tools of
encryption الخاصة بالمحتوى - كل هذه الميزات تجعل من
الفضاء السيرانى منصة مثالية لاستيلاد حالات سيكولوجية

جديدة ومستحدثة تنعكس في انخفاض التقييم الذاتي decreased self-evaluation لدى الأفراد وتراجع محسوس في مخاوفهم الكامنة من الترقب الاجتماعي وحُكم الآخرين عليهم، مما قد يفرز سلوكاً مضاداً antinormative behavior للمنظومة القيمية والمعياريّة وللمراسم الاجتماعية السائدة (LESSIG Lawrence, 1999:236).

ويؤدي نسيج التفاعلات الافتراضية الاجتماعية online social interactions إلى تقليل الحاجة للحفاظ على الهوية الاجتماعية وصيانة المكانة الاجتماعي social status والسماح للمكونات المكبوتة واللاشعورية داخل الهوية الشخصية والمعتقدات والقيم الأساسية أن تظهر إلى السطح دون تردد. وقد أثبت دراسات ميدانية عديدة ومنها دراسة Boyd و دراسة Burgess و زملائها ودراسة الباحثة Burgess-Proctor ، وكذا دراسة Patchin & Hinduja والتي إستهدفت في مجملها تحليل الخطاب الافتراضي المتداول داخل مختلف فضاءات التواصل الاجتماعي السبراني، و توصلت إلى أن اللغة المتداولة والسائدة إفتراضيا تتسم باقصائيتها وعدائيتها وتحيزها وتجاوزها لحدود اللياقة والبروتوكولات الاجتماعية، كذلك من أجل جذب

اهتمام المستخدمين الآخرين (BURGESS-PROCTOR Amanda et al, 2009:157).

إضافة إلى ذلك، تُساهم التركيبة الاجتماعية للفضاء السيبراني في استنبات ظاهرة سيكولوجية أخرى ذات دلالة تُعرف بمصطلح إزالة التثبيط disinhibition، والذي يُعد مفهوماً مركباً في علم النفس الاجتماعي وهو عملية لتعديل السلوك الفردي وتحويل السمات الفردية بكيفية لاواعية تحت تأثير جملة من العمليات النفسية الداخلية internal psychological processes والتي تتمظهر في المحصلة، في عدم ضبط النفس ونوازعها وفي تجاهل الاتفاقيات الاجتماعية واندفاع المكبوتات، وضعف تقييم المخاطر، كما يؤثر على الجوانب الحركية والغريزية والعاطفية والإدراكية مع علامات وأعراض مشابهة للمعايير التشخيصية للهوس (BOLLER François et GRAFMAN Jordan, 2000:103).

كما يُشير مصطلح إزالة التثبيط disinhibition من ناحية أخرى إلى تصوّر الأفراد بأن الأفعال والسلوكيات التي يقومون بها داخل الفضاءات السيبرانية لا تكون حقيقية ومؤثرة كالأفعال التي تتمظهر داخل العالم الواقعي، مما يؤدي إلى عدم ضبط الذات (MASON Kimberly L, 2008:324). وعادة ما يأخذ ما يعرف بالتأثير التثبيطي

disinhibiting effect للفضاء السبراني مسلكا يتجلى في ظهور وإعادة إنتاج سلوكيات بشروطها اللامعيارية والتي تخالف قواعد السلوك الاجتماعي، إذ ضمن فضاءات الحيز السبراني يُمكن أن يفعل الأفراد أشياء قد لا يقومون بها في العادة، نظراً لمحدودية الإحساس بإمكانيات المساءلة وزيادة الشعور بالترابط مع الحقيقة الافتراضية .virtual reality

ويشتمل المضمون السيكلولوجي لظاهرة إزالة التثبيط الافتراضي online disinhibition على جملة من التعبيرات السلوكية والممارساتية التي تتمظهر بعد ولوج الأفراد الممرّ للعالم الافتراضي، إذ أن الولوج لهذا العالم يصاحبه ظهور تغيرات سلوكية تختلف عن السلوكيات المنتظرة داخل المحيط الاجتماعي للأفراد، حيث يُخفف الفضاء الإلكتروني من حُدّة الحواجز النفسية psychological barriers وكذا مُختلف القواعد المعيارية والإجرائية التي تُعوق ظهور مُختلف النوازع الفردية و الاتجاهات السلوكية التي تقمّعها البيئة الاجتماعية الأصلية للمستخدمين. إضافة لذلك، يتقمص الأفراد نماذج سلوكية جديدة ثلاث وضعهم الاجتماعي/ الافتراضي الجديد، وفي ظل هذا السياق يكتسب النسق الافتراضي تأثيراً أكثر تعقيداً وتضخماً amplified effect.

وتبعاً لذلك يُمكن أن يُنتج عن الأفراد داخل البيئات الافتراضيات أنماط فعل لها منطقتها الذاتي الذي تعمل بموجبه، تتمثل في سلوكيات غير معيارية نظراً لانخفاض منسوب الشعور بالمساءلة، وزيادة الشعور بالتحرّر، وما يصاحب ذلك من تخفيف للقيود الاجتماعية على السلوك داخل فضاءات الحيز السيبراني مما ينعكس عادة في زيادة سلوك التسلط الافتراضي behavior cyberbullying تجاه الآخرين والاستقواء عليهم (LEE Eun-Ju, 2007:385).

وضمن هذا التصور، يرى الباحثان Eastwick & Gardner أن أحد العوامل التي تدفع الأفراد إلى مخالفة قواعد السلوك المعياري normative behavior داخل الفضاءات السيبرانية، ضعف الارتباط مع الجماعات الافتراضية ونقص الالتزام تجاهها، حيث يُحسن الأفراد بالحرية الكاملة للدخول في جماعات بعينها أو الانسحاب منها. وفي محاولتنا لتحليل المكونات والعناصر الداخلية التي تتحكم في السلوك الاجتماعي داخل البيئات الافتراضية، نرى أن مفهوم النمذجة الاجتماعية social modeling يُشكل مُستوى تحليلياً ذات وجاهة وكفاءة تفسيرية لفهم السلوك الافتراضي، إذ وكما يرى الباحث Bandura وزملائه أن التعرض ورؤية سلوكيات عدوانية أو منافية للسلوك الاجتماعي المطلوب تؤدي إلى زيادة احتمالية تبني الافراد لهذه

المواقف والسلوكيات وهو ما يسميه بالتعلم بالملاحظة observational learning والتي تُعد بعدا جوهريا في مفهوم النمذجة الاجتماعية (Bandura Albert et al,1961:575). وفي ظل السياق الافتراضي، يُعد الاحساس بالتحرّر من القيود وغياب المحاسبة أهم مُحركي ومُفعلي سيرورة النمذجة الاجتماعية الافتراضية وبالتالي تكثيف السلوكيات الغير المتوافقة مع النواظم الايتقية والموجهات الأخلاقية التي تُسود العالم الاجتماعي الواقعي. إذ أن الهندسة الاجتماعية social engineering للبيئات الافتراضية تلعب دورا كبيرا في تحييد المنظومة الايتقية، فالظواهر والممارسات التي تظهر للعيان داخل الفضاء الافتراضي لا تُشجّع مرتاديه على الالتزام بالمواضعات الثقافية والاتفاقيات الاخلاقية، نتيجة للتباعد الحاصل بين البنية القيمية المجتمعية المحلية وبين البنية النسقية الفسيفسائية للفضاءات السيرانية والمفتوحة على مختلف القيم والثقافات المعولة بكل أشكالها وتلويناتها. وبالمُجمل نرى بأن الدراسات البحثية ذات الصبغة الأكاديمية ينبغي لها أن تنفتح على الاستبصارات والمقاربات السيكلوجية لتحصيل فهم أكثر تعمقا للرهانات الأخلاقية والايتقية التي تطرحها الفضاءات السيرانية باعتبارها مجالات تستصعب على الضبط الموضوعي، وأيضا التوسع في فهم سيكلوجية المستخدمين والكشف عن ماهية البواعث

التي تتحكم في سلوكياتهم، باعتماد التشخيص الاثنوغرافي والميداني خصوصا، والذي سيساعد حتما في ايجاد مساطر من أجل تفعيل الانضباط الذاتي لدى المستخدمين وبعث ميكانيزمات فعالة للضبط الأخلاقي والمعياري داخل هذه الفضاءات الجديدة.

III. الأخلاقيات السبرانية كمساطر مؤطرة للسلوك الافتراضي:

حاولت مُختلف حقول البحث الاجتماعي خلال العقود الماضية مقارنة تكنولوجيات الاتصال الجديدة كإستجابة لكثافة حضورها ضمن الفضاء الاجتماعي اليومي، حيث سَعت هذه الحقول المعرفية إلى التفاعل مع تأثيراتها المترتبة استيعاب مختلف أبعادها تفكيكا وتشريحا وتحليلا، عن طريق استوظاف مُختلف مُستندات النظرية وآلياتها المنهجية وأدواتها الإجرائية، غير أنه وكما ترى الباحثة Swierstra (2010) ونرى معها أن مُعظم المُراكمة المعرفية المُنتجة لحد الآن نمت وفقا للشروط الباراديغمية والمنهجية التي نَعاطت مع "التأثيرات/الصلبة" hard impacts القابلة للقياس الكمي والتي شَمَلت مجالات التغيير السياسي و التعليم و الروتينيات والممارسات الاجتماعية، في وقت ما نُكون فيه أحوَج إلى انعطافة نظرية ومنهجية جديدة تتجاوز النقص الحاصل، وتُسلط الضوء بشكل أكبر على "التأثيرات/المرنة" soft impacts التي تُحدثها التكنولوجيات

الجديدة ومُخرجاتها على القيم الأخلاقية والمسايطير الايتيقية والنظم المعيارية، وتتقصى المسارات المتعرجة للتفاعل التكنو-أخلاقي، وتبحث في الإطار الإشكالي للرهانات الأخلاقية التي تطرحها هذه التكنولوجيات وكيفية جعل الفعل السيبراني مندرجا ضمن معايير الاتيقيا بدل الارتكاسية والالانهائية في حرية الفعل.

وتُعد المسائل الأخلاقية والمعيارية المطروحة حاليا إما امتدادا مُرتهنا لنقاشات معيارية وديونتولوجية سابقة الوجود على ظهور التكنولوجيات، وإما مسائل جديدة كلياً لم تكن مطروحة من قبل، ومثال ذلك، محاولة الاتصال لاسلكياً wirelessly بشبكات الآخرين عن طريق تقنية الواي-فاي WiFi والولوج للانترنت باستخدام شبكتهم الاتصالية دون علمهم أو إذن مسبق منهم، وهو ما يعرف بظاهرة wardriving، إذ أنه في السابق كان الولوج للانترنت يتطلب اتصالاً سلكياً/ خطياً wire connection، لكن بفعل التطور على مستوى تكنولوجيا الشبكات اللاسلكية وقنوات نقل واستقبال البيانات أصبح باستطاعة الأفراد الولوج للانترنت عن طريق الواي-فاي لاسلكياً ودون ربط بالأسلاك والكوابل، باستخدام الحواسيب الشخصية والهواتف الذكية والأجهزة اللوحية ومشغلات الصوت والصورة الرقمية، كما أصبح بإمكانه التطفل على شبكات غيرهم

والربط معها والاستفادة من خدمات الانترنت دون علم مسبق منهم، مما يطرح إشكالات أخلاقية وإيتيقية شائكة حول هذه الممارسة الجديدة التي تم تظهر من قبل.

وبعد الاطلاع على الأدب النظري، نرى أن مُختلف النظريات المعيارية التي عالجت مبحث الأخلاقيات والتكنولوجيا قد أجمعت على معطى أن السداد المعيارى لاستخدامات الأفراد للتكنولوجيات ودرجة انسجامها مع المساطير الأخلاقية والاجتماعية يُمكن تلمسها وتحديدتها في إرادة وقصدية الفاعل الاجتماعى/المستخدم social actor/user، وقد تم تدعيم هذا المنظور لاحقاً من خلال الأبحاث و الدراسات المتلاحقة مثل دراسة الباحثين Ferrell & Gresham (1989)، ودراسة كل من Hunt & Vitell (2010)، ودراسة الباحث Rallapalli وزملائه (1994) ودراسة الباحث Albanese (2006)، ودراسة الباحثين Robertson & Kassartjian (1991).

ومن هذا المنظور، تُشجع الأخلاقيات، في مجال التكنولوجيات الاتصالية الجديدة، الأفراد على التفكير في مواقفهم وسلوكياتهم والمبادرة بالتوفيق بين الحقائق التناقضية التي أفرزتها هذه التكنولوجيات وبين المتطلبات الإيتيقية والمبتغيات العملية لاستوظاف هذه التكنولوجيات والانتفاع بها، وتبعاً لذلك، تُعد الأخلاقيات بمثابة

الحد الممكن من التصورات المعيارية الذي يُعقّلن مسلكيات التفاعل مع التكنولوجيا على أساس من التصديق الأخلاقي الذي تتبناه الذات الفردية المستخدمة (Duncan,1995:13 LANGFORD).

فبعد أن وصلت تكنولوجيا الويب إلى مستويات غير مسبوقة أمكنها أن تقدم بموجبها إمكانيات مفتوحة وديناميات جديدة لا تحدّها حدود، مثل إمكانيات الولوج السهل easy access، وتحميل الملفات files download، والنسخ واللصق copy and paste، مما ضاعف من الاشكالات الأخلاقية ودلالاتها و فرض الانخراط الأكاديمي والتخصصي في فهم رهاناتها (BEN-JACOB Marion G, 2005:199).

ونلاحظ أن حركية التنظير للأخلاقيات السبرانية قد بدأت في بداية الثمانيات لما كان انتشار الحواسيب و أجهزة الكمبيوتر والولوج إليها محدودا نوعا ما، حيث استخدم الباحث Moor آنذاك مصطلح أخلاقيات الحاسوب computer ethics للإحالة إلى المعايير الاليتقية التي ينبغي على مستخدم الحاسوب وبعض برمجياته المحدودة الالتزام بها، لكن نتيجة الانتشار السريع لشبكة الانترنت بمنصات المختلفة وكثافة حضورها ونتيجة ظهور الكثير من الممارسات اللامعيارية والاليتقية المرتبطة بالتكنولوجيا الانترنيتية، اتجه بعض الباحثين إلى

استوظاف مصطلحات جديدة مثل أخلاقيات الانترنت internet ethics والاخلاقيات السيبرانية cyberethics من أمثال الباحث Fox (2006) وزملاءه والباحثين Kuiper, Volman & Jan Terwel (2005) والباحث Lee (2010) ونجد أن من بين أدق التعاريف التي قدمت للأخلاقيات السيبرانية وأكثرها إلماماً واحكاماً، تعريف الباحث Torun والذي يَتمثل بمقتضاه الاخلاقيات السيبرانية ككيفية التصرف التي ينبغي للأفراد الاحتكام إليها وتبنيها أثناء استعمالهم للانترنت (Kavuk Melike et al, 2011: 1043).

وقد تم تعريف السلوكيات الأخلاقية ethical behaviors بوجه عام على أنها السلوكيات التي لا تخالف القوانين المعمول بها ولا تُناقض الاتفاقيات والمواضعات الاجتماعية والثقافية التي يُحددها المجتمع الذي ظهرت فيه، بينما تم تعريف السلوكيات غير الأخلاقية (unethical behaviors) على أنها سلوكيات غير قانونية ولا يمكن قبولها من قبل المجتمع (Barnes Christopher et al, 2011: 172).

وتبعاً لهذا التصور، تُصنّف السلوكيات التي تنتج عن استخدام الإنترنت والتي هي في جوهرها غير قانونية أو غير مقبولة اجتماعياً على أنها غير أخلاقية، إذ لا يلغي وقوع هذا النوع من السلوكيات

داخل الفضاء السيبراني دلالاته الايتقية ولا يُعفي من موضعه ضمن
المساير المعيارية المجتمعية والحكم عليه.

كما تُشير الأخلاقيات السيبرانية إلى أنماط السلوك المسؤول
responsible behavior في استخدام الإنترنت بمختلف تطبيقاتها،
حيث تشمل معالم معيارية تُحدّد أوجه وكيفيات التصرف بمسؤولية في
استغلال مختلف الفضاءات السيبرانية، ويحمل مفهوم الأخلاقيات
السيبرانية حمولة دلالة مُضمرة مفاده عدم جواز ارتكاب ممارسات في
الفضاء السيبراني تُعتبر غير أخلاقية في الحياة اليومية ، أي بمعنى أن
هناك أخلاقيات يجب العمل على إعادة تخليقها وتفعيلها تفاديا لأي
تسبب أخلاقي قد ينتج عن ما تُتيحه التكنولوجيات الاتصالية
الجديدة.

وبعد فحص الأدب النظري في مجال الأخلاقيات السيبرانية يتبين
لنا أنه تم تحديد ومعالجة الكثير من السلوكيات الافتراضية اللاأخلاقية
unethical internet behaviors ومن بينها ارسال السخامات
الالكترونية sending spams، او استعمال برمجيات دون إذن
unlicensed software، نشر معلومات ذات خصوصية ، إرسال
البرمجيات الخبيثة، الدفع بالرسائل الاقتحامية pollupostage، التحرش

السيبراني، القرصنة وجرائم الكراهية السيبرانية cyberhate crimes
وانتهاك حقوق الملكية الفكرية violation of copyrights .

ومن الناحية الأكاديمية، احتلّ مبحث الأخلاقيات و التكنولوجيا
حيزاً ذو وجهة داخل الأجندة البحثية لمختلف الحقول المعرفية
خصوصاً في ظل كثافة حضور المكون التكنولوجي و تشابكه مع
مختلف المكونات المجتمعية، وكما يرى الباحثان Namlu & Odabasi (2007) فإن بوصلة البحوث المعيارية في المجال السيبراني اتجه
بادئ الأمر نحو الأخلاقيات و المسائل و المعاملات الاقتصادية
والتبادلات التجارية التي تتم داخل هذه الفضاءات الجديدة، وبعد
ذلك اتجهت طيولوجيا البحوث الخاصة بالأخلاقيات السيبرانية
cyberethics نحو الالتحام بمواضيع الظواهر السيبرانية غير الأخلاقية
في المجال الأكاديمي كالانتحال العلمي plagiarism والقرصنة piracy
وعدم احترام الأمانة العلمية، ويتجلى هذا التوجه البحثي خصوصاً في
دراسات كل من Philips & Horton (2000) والباحث (2005)
Ross والباحثين Underwood & Szabo (2003).

في سياق آخر، تُظهر الاهتمام المعيارى بالمسائل الأخلاقية
السيبرانية على مستوى آخر هو مستوى المنظمات و الهيئات الدولية
التي سعت لطرح المسائل المتعلقة بالجانب الايتقي والأخلاقي

لتكنولوجيات الاتصال والمعلومات الجديدة للنقاش والتشخيص، مما وفرّ مداخل نظرية ثَمَكُننا من فهم الرهانات الأخلاقية للمعطى التكنولوجي واستحضار مساراتها، وقد سعت هذه التنظيمات نحو خلق استراتيجيات تقنية وإيتيقية وقانونية للحد من الممارسات وأنماط السلوك التي تقع محل التجريم أو الاستنكار الأخلاقي، داخل الفضاء السيبراني.

وقد ثَمَكُنت مختلف هذه التنظيمات و الجمعيات الدولية إلى حد معقول في بلورة مدونات للسلوك الأخلاقي السيبراني وشملت كفيات و مجالات و ترتيبات الاستخدام العقلاني و المسؤول للحيز السيبراني ولمختلف تطبيقات الانترنت وفضاءاتها، كما أنها تنخرط في مسلك إرساء وتفعيل أخلاقيات عملية لضبط عملية التفاعل مع التكنولوجيات الجديدة و استوظافها في مختلف الأنشطة اليومية، ومن بين هذه المدونات الإيتيقية، مدونة (RFC 1087) التي تم صياغتها من قبل مجلس هندسة الانترنت (IAB) والتي حددت أهم السلوكيات السيبرانية اللإيتيقية في ما يلي:- السعي إلى الولوج غير المصرّح به unauthorized access إلى موارد الإنترنت.- تخريب المكونات المرنة والصلبة لمختلف العتاد الداعم لاستخدام الانترنت.- تعطيل

الاستخدام الهادف للانترنت.-تهديد سلامة المحتويات السيبرانية.-
تهديد خصوصية المستخدمين الآخرين.

وأيضاً مدونة الوصايا العشر لأخلاقيات الكمبيوتر Ten
Commandments of Computer Ethics والتي تم صياغتها و تبويبها
من طرف معهد أخلاقيات الكمبيوتر Computer Ethics Institute
والتي نصت على مجموعة من التوجيهات التي تهدف إلى ضبط وأخلقة
استخدام الانترنت والحاسوب وتمثلت فيما يلي: - أن لا يتم استخدام
جهاز كمبيوتر والانترنت لإيذاء الآخرين.- أن لا يتم التدخل في
نشاطات الآخرين داخل الفضاء السيبراني.- أن لا يتم التجسس على
ملفات الآخرين وأنشطتهم السيبرانية.- أن لا يتم استخدام جهاز
الكمبيوتر للاحتيال- أن لا يتم نسخ أو استخدام البرمجيات
المدفوعة.- أن لا يتم استخدام موارد الكمبيوتر الخاصة بالأشخاص
الآخرين دون إذن مسبق.- أن لا يتم استخدام الناتج الفكري
intellectual output للآخرين دون نسبة إليهم.

وقد حدّد مركز الأمن السيبراني Center for Internet Security
في مدونته شروط السلوك السيبراني المسؤول فيما يلي:- عدم استخدام
لغة مسيئة.- عدم مضايقة الآخرين الذين نتشارك معهم الفضاء
السيبراني.- عدم استعمال منشورات الآخرين دون إسنادها

لأصحابها. -عدم اقتحام أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالأشخاص الآخرين. -عدم استخدام كلمة المرور password الخاصة بالأشخاص الآخرين. -عدم الاعتداء على البيانات الشخصية للمستخدمين. -الالتزام بالقيود المفروضة على حقوق النشر copyright restrictions عند تنزيل مواد من الإنترنت، بما في ذلك البرامج أو الألعاب أو الأفلام أو الموسيقى.

IV. مقرب العدالة الراولزية كمدخل معياري لإرساء الاخلاقيات السيرانية:

حظي الفيلسوف الأمريكي John Rawls بشهرة كبيرة في الأوساط الأكاديمية بعد إصداره لكتاب نظرية في العدالة (A Theory of Justice) سنة 1971 والذي عُد آنذاك إسهاما أصليا و طلائعيا في ميدان الفلسفة السياسية، وامتدادا لمؤلفات فلاسفة العقد الاجتماعي أمثال توماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو حيث تتقاطع تصوراتهم مع النظريات التعاقدية في كثير من المنطلقات، وقد ساهمت نظرية راولز للعدالة في انتعاش مبحث الفلسفة السياسية على نحو عميق في التقليد الانجلوسكسوني الفلسفي. وحاول راولز خط مبادئ معيارية لتحقيق نوع من العدالة الواقعية وإثبات مركزيتها في الفضاء السياسي ومدى حيويتها في بلوغ مجتمع توافقي ديمقراطي وعادل، كما

سعى إلى بلورة نظرية سياسية تؤسس للديمقراطية الاجتماعية وتتخذ أبعاداً ملموسة وقابلة للتطبيق العملي.

وينطلق رولز من افتراض أساسي هو أن الأفراد يوجدون ضمن مواقع مختلفة داخل تراتبية المنظومة الاجتماعية أو ما يسميه بالوضع الأصلي original position وعلى أساس هذا الوضع يسعى كل فرد إلى تحقيق مصلحته الشخصية والتي قد تضر بمصالح الآخرين، نتيجة لانعدام الشروط الاجتماعية الضرورية للمساواة في الحظوظ، في ظل وجود اختلافات بنيوية أولية تميز رتب الناس في السلم الاجتماعي منذ بداية وجودهم الاجتماعي. ويقترح راولز تطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية بناءً على الوضع الأصلي أي بالاستناد إلى حالة اللامساواة الطبيعية وعلى التفاوت الاجتماعي كخطوة أولية بما أنها فروقات بنيوية لا يمكن تجنبها في أي منظومة اجتماعية، بعدها يتم انتخاب وتبني نموذج اجتماعي عملي تنتظم في كنفه كفاءات توزيع الحقوق والواجبات والمزايا والالتزامات في مختلف القطاعات الاجتماعية.

وضمن هذا السياق يتميز المنظور الراولزي Rawlsian perspective بفكرة أن مبدأ الفروق الطبيعية يكون متلائماً مع مبدأ الفعالية فقط إذا أدى إلى تحسين حظوظ البعض دون أن يؤدي ذلك إلى إفساد شروط البعض الآخر، وبالتالي تبني نمط من العدالة الذي

تتوافق فيها أشكال التفاوت والفروق والاختلافات الاجتماعية التي لا تلحق الضرر بالأشخاص الأقل حظا في المجتمع.

وفي ظلّ هذا الوضع، يتم انتهاج مبادئ للعدالة غير المتحيّزة لأي طرف اجتماعي والتي تنتفي فيها المفاضلة بين الأفراد على أساس التفاوتات، مع ضرورة وضع ذوي الحظوظ الأدنى في الاعتبار، ذلك أن العدالة لا تتحقق إلا حينما تأخذ مصلحة الفئة الأقل حرمانا والأكثر هشاشة في الحسبان. وتبعاً لذلك، فإن راولز قد نجح في صياغة تصور واقعي للعدالة ينطلق من مبادئ مؤسسة للحقوق والواجبات، تتكيف مع البنية الأساسية للمجتمع كما هي، كنظام مبني على التناقضات والتفاوتات، وتُشكّل منظومة جديدة لمختلف أشكال الاتفاقيات والتعاون الاجتماعي على أساس مبدأ الإنصاف.

وبالمحصلة فقد نجح راولز في بناء تصور لعدالة تستجيب للإشكالات الأخلاقية والسياسية وتُمكن الأفراد من التعايش والتوافق وفقاً لمبدأ الإنصاف principle of fairness والذي يعكس في بعده النظري مسألة الأولوية التي ينبغي أن يستقيم عليها صلب المجتمع بمختلف قطاعاته، خصوصاً في ظل التفاوت و تضارب المصالح، وبالتالي يصبح أساس تقييم الممارسات السياسية والأخلاقية في المجتمع مدى انتظامها وانسجامها مع مبدأ الإنصاف و وفق تصور

أخلاقي يرضي جميع الأطراف. ومن هنا يتضح لنا أن جوهر نظرية راولز هي تجسيد العدالة كإنصاف باعتباره المخول الأساسي والجوهرية لإمكانية تحقيق مجتمع عادل يضمن لأفراده على تفاوتاتهم وتناقض مصالحهم حدود معقولة من الحريات و الحقوق، بحيث تكون هذه الحدود مُنصفّة ومؤسسة للتوافق و التعاون كأفق ضروري لتجاوز مرحلة الوضعية الأصلية original position وحتميات التفاوت في الحظوظ و المراتب الموجود منذ البداية داخل البنية الاجتماعية.

وفي سياق الإشكالات الأخلاقية التي يطرحها الفضاء السيبراني الجديد ومحاولات تدبيرها والبحث عن مخرج معقولة وعملية لها، يعود فضل السبق إلى الباحث Cees J Hamelink في مؤلفة المعنون بـ (The Ethics of Cyberspace) والذي صدر عن منشورات Sage Publications البريطانية سنة 2001، أين رجع الباحث إلى نظريات الفلسفة السياسية وتحديدًا نظرية العدالة التي طرحها جون راولز (John Rawls) وحاول توظيفها كإطار إبستمولوجي وتفكيري للتفاعل مع الرهانات الأخلاقية والايثيقية التي يفرضها الفضاء السيبراني على المستخدمين العاديين ordinary users وعلى مختلف قطاعات المجتمع الواسع.

وبالإسقاط على واقع الفضاء السيبراني، فإن العضلات الأخلاقية التي يطرحها هذا المجال الجديد هي في جوهرها مسائل مركبة الأبعاد تنشأ بسبب وجود تضارب تناقضي بين المصالح المختلفة للأفراد، إذ يحدث التنافر والانفصال عن المساطر الأخلاقية عندما يسعى بعض الأفراد إلى تحقيق مبتغيات أو مكاسب تُضرّ وتتعارض مع حظوظ ومصالح الآخرين، فمثلاً ينشأ التضارب بين الأطراف التي تحمل الموسيقى music downloaders و مالكي حقوق تأليف الموسيقى music rights owners وبين مُسيري الشركات corporate managers والمتخصصين في مجال الاستعانة بالمصادر الخارجية outsourced professionals، وبين السبّامين أو مرسلي السبام الإلكتروني spammers ومستخدمي الإيميل e-mail users.

وباستحضار المشروع الراولزي الذي يستهدف إعادة تأسيس تعاقد اجتماعي مُغاير يقوم على مقتضيات مبدأ الإنصاف، وليس على مقتضيات المنفعة الخاصة وحدها، فإنه يمكننا بلورة أشكال تفاعلات جديدة ضمن المشهد السيبراني تعكس مستويات جديدة لطبيعة العلاقة المتبادلة بين مستخدمي الفضاء السيبراني، فالحل العملي لتضارب المصالح بين الأفراد يمكن في سنّ تصور أخلاقي معياري وواقعي يحصل بموجبه نوع من التطابق والتكامل في عملية تحقيق النفع

العام، وتجدر الإشارة إلى أن استنبات منظومة أخلاقية ومعارية داخل أي فضاء اجتماعي قد لا يكون دائماً في مصلحة الفرد الذاتية self-interest بحكم الصراع المصلحي والتفاوتات والتباينات في المصالح والامتيازات التي تميز أي نسق اجتماعي، لذلك قد تتحقق مصلحة شخص معين في انتهاك الحقوق violations of rights الذي يمسّ شخصاً آخر، حيث قد ينشأ عن الاعتداء على شخص ما وضع يتم فيه خدمة المصلحة الذاتية لشخص آخر. وضمن هذا السياق يشير الباحث Cees J Hamelink إلى أن التزام الأفراد بحد مقبول من التوافقات الأخلاقية يعني ضمناً أنهم سيأخذون مصالح الآخرين بجدية ويكونون مستعدين - إذا لزم الأمر - لتقييد مصالحهم الخاصة في مقابل عدم الإضرار بحقوق الآخرين وحقوقهم المشروعة، وهو ما يُسميه بدينامية المصلحة الخاصة المستنيرة enlightened self-interest.

وبالتالي فإن إعادة إدخال شروط إلزامية للعدالة الراولزية داخل الفضاء السيبراني لا يعني إلغاء حريات وامتيازات الأفراد، أو القفز المثالي فوق الاختلافات والحظوظ الاجتماعية بينهم والتي تُترجم غالباً في عدة تجليات من بينها الفجوة الرقمية وعدم التساوي في النفاذ للانترنت وعدم امتلاك الأدوات التقنية للولوج للفضاء السيبراني ونقص الموارد السوسيواقتصادية والرمزية، بل أن مَكمن صُلب

التصور الراولزي يتمثل في اعتماد رؤية داخجة تُتَلَمَس حدود التقاطعات بين مصالح الأفراد وبين حقوق الآخرين و محاولة إيجاد التوازنات المفقودة بين المصلحة الفردية وبين المطالب الايتقية بالرجوع إلى جملة من المساطر المعيارية كآلية لتدبير الاختلاف وتحقيق مصالح مختلف الأطراف دون الاعتداء على حقوق الأطراف الأخرى، خصوصا في ظل العجز الحالي للمنظومة القانونية عن تنظيم الفضاء السيبراني وضبط تفاعلاته وتنامي الفراغ التشريعي legislative vacuum الذي يعكس ارتباك الاليات التشريعية الكلاسيكية في الاستجابة لتعقيدات الانساق السيبرانية.

ونُقر بأن أفضل كيفية لإخراج التصور الراولزي من الحالة الميتافيزيقية ذات البعد الترانسندتالي والمتعالي وانزاله لأرضية التطبيق، تُشترط خلق وضعية تعاقدية سَلِمة ومُنصفة تحترم الحقوق والواجبات الأساسية لمستخدمي الفضاء السيبراني بما في ذلك الحق في الخصوصية وحقوق الملكية الفكرية والحق في الاحترام والكرامة ومُخَوَّلَات تقدير الذات، وإنتاج شروط جديدة لإعادة تمثيل الفضاء السيبراني، ليس كفضاء سائب وفوضوي مفتوح لكل الممارسات، بل كمجال اجتماعي خاضع للفعل التعاقدي والايثيقي الكفيل بتحويل الأفراد من مستخدمي users إلى ذوات أخلاقية ethical selves قادرة على

استنبات أخلاقيات سيبرانية تتجاوز ما هو نفعي وبرغماتي إلى ما هو منصف و إيتقي.

ويُفترض كأساس قبلي المرور بمرحلة وضع مدونات إيتقية شاملة وموحدة تؤسس الحدود المُنصفة للتعاون التوافقي بين مُستخدمي الفضاء السيبراني وترسم حدود الاستفادة من الموارد والامكانيات التي يتيح هذا الفضاء، وتحدد حقوقهم والتزاماتهم بناءً على مقتضيات مبدأ الإنصاف، وليس على مقتضيات المنفعة وحدها، ويكون مضمونها مُتوزعا على أهم الإشكالات الأخلاقية التي تطرحها الفضاءات السيبرانية وكيفيات تدبيرها بشكل منصف.

خاتمة:

بالرغم من درجة الاعتمادية شديدة الكثافة على التكنولوجيات الاتصالية الجديدة ومركزيتها الاستراتيجية ضمن نسق المعيش اليومي للأفراد، إلا أن استخدام شبكة الانترنت والفضاءات المرتبطة بها لطالما صاحبه غياب الحس الإيتقي ethical sense لدى معظم المستخدمين وتآكل التزامهم القيمي وهزالة فهمهم للمسائل الأخلاقية التي يطرحها هذا الاستخدام، إضافة إلى نقص وعيهم بالرهانات الأخلاقية المترتبة على دينامية الولوج للفضاءات السيبرانية التي يتشاركونها مع

الآخرين، كل ذلك، في ظل الفراغ على مستوى السياسات policy vacuums والمنظومات المعيارية التي تضبط وتُحوِّك حدود السلوك الافتراضي (BaumJanna,2005:54). وفي ظل هذا الواقع، يُعد رهان إعادة الصلّة بين المساطر الأخلاقية وبين استخدام التكنولوجيات الجديدة رهانا مُلحا و مُستعجلا ينبغي التفاعل معه عن طريق إعادة الاعتبار للفعل المعياري والأخلاقي داخل الفضاءات السيبرانية بوصفه إلزاماً إيتقيا وبيداغوجيا ذاتياً نابعاً من تمثّل الفرد / المستخدم للواجب الأخلاقي، كل هذا ضمن الأفق النظري والمعيارى الذي ساهم راولز في رسم معالمه الأساسية بكيفية دالة ومتميزة، والذي من شأنه أن يحسم الرهان التكنو-أخلاقي ويجعل من السلوك المعيارى بُعداً مُترسّخاً وحاضراً على مستوى الممارسة اليومية في استخدام التقنية.

وأيا كانت الاستراتيجيات الاحتوائية أو السياسات التنظيمية أو الافاق النظرية للايتقيا والتي سيتم تبنيها كإطار عام للحوكمة المستقبلية future governance للفضاء السيبراني فإنه لا يمكن إنكار مُعطى أن كل مساقات التطور التكنولوجي تُستشرط مواجهة واعية ومُلتزمة مع المسائل الأخلاقية في رهاناتها وشروطها المختلفة، والتي تتراوح بين العديد من الخيارات التكنو-إيتقية المرتبطة بطريقة تصميم التكنولوجيا

وتحديد تطبيقاتها الممكنة وكذا مسالك استخدامها وتوظيفها من قبل المستخدمين العاديين.

المراجع:

ALBANESE, Jay S. (2006). Professional ethics in criminal justice: Being ethical when no one is looking. Allyn & Bacon.

ARONSON, Elliot et WILSON, Timothy D. Robin M. Akert i Samuel R. Sommers. (2016). Social Psychology. 9th ed. Boston, USA. Pearson.

BANDURA, Albert, ROSS, Dorothea, et ROSS, Sheila.(1961). Transmission of aggression through imitation of aggressive models. The Journal of Abnormal and Social Psychology, 63(3), 575.

BARNES, Christopher M., SCHAU BROECK, John, HUTH, Megan, et al. (2011).Lack of sleep and unethical conduct. Organizational Behavior and Human Decision Processes, 115(2),169-180.

BAUM, Janna J. (2005). CyberEthics: The new frontier. TechTrends, 49(6), 54-55.

BEN-JACOB, Marion G .(2005). Integrating computer ethics across the curriculum: A case study. Educational Technology & Society, 8(4), 198-204.

BOENINK, Marianne, SWIERSTRA, Tsjalling, et STEMERDING, Dirk. (2010).Anticipating the interaction between technology and morality: A scenario study of

experimenting with humans in bionanotechnology. *Studies in Ethics, Law, and Technology*, 4(2).

BOLLER, François et GRAFMAN, Jordan (ed.). (2000). *Handbook of Neuropsychology: Memory and its disorders* (Vol. 2). Elsevier Health Sciences.

BURGESS-PROCTOR, Amanda, PATCHIN, Justin W., et HINDUJA, Sameer.(2009).Cyberbullying and online harassment: Reconceptualizing the victimization of adolescent girls. *Female crime victims: Reality reconsidered*, 153-175.

BURKELL, Jacquelyn. (2006). Anonymity in behavioural research: Not being unnamed, but being unknown. *U. Ottawa L. & Tech. J.*, 3, 189.

CENTER FOR INTERNET SECURITY .Rules of Cyber Ethics. At: <https://www.cisecurity.org/daily-tip/know-the-rules-of-cyber-ethics/> Retrieved 06 April 2019.

CHRISTOPHERSON, Kimberly M. (2007). The positive and negative implications of anonymity in Internet social interactions:“On the Internet, Nobody Knows You’re a Dog”. *Computers in Human Behavior*, 23(6), 3038-3056.

FERRELL, Odies C, GRESHAM, Larry G., et FRAEDRICH, John. (1989). A synthesis of ethical decision models for marketing. *Journal of Macromarketing*, 9(2), 55-64.

FOX, Dieter. (2003). An Examination of Information Ethics as a Theory to adress Internet Ethical Concerns. Retrieved November, 4, 2006.

FREESTONE, Oliver et MITCHELL, V. (2004). Generation Y attitudes towards e-ethics and internet-related misbehaviours. *Journal of Business Ethics*, 54(2), 121-128.

FROHMANN, Bernd.(2000).Cyber ethics: Bodies or bytes?. *The International Information & Library Review*, vol. 32, no 3-4, p. 423-435.

HAMELINK, Cees J.(2001). *The ethics of cyberspace*. SAGE Publications. London.

HINDUJA, Sameer. (2008). Deindividuation and internet software piracy. *CyberPsychology & Behavior*, 11(4), 391-398.

INFORMATION SYSTEMS SECURITY ASSOCIATION.ISSA Code of Ethics. At: <https://www.issa.org/page/codeofethics> Retrieved 03 April 2019.

KAVUK, Melike, KESER, Hafize, et TEKER, Necmettin. (2011). Reviewing unethical behaviors of primary education students' internet usage. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, 28, 1043-1052.

KIZZA, Joseph Migga.(2014).Computer network security and cyber ethics. McFarland.

KUIPER, Els, VOLMAN, Monique, et TERWEL, Jan. (2005). The Web as an information resource in K-12 education: Strategies for supporting students in searching and processing information. *Review of Educational Research*, 75(3), 285-328.

LANGFORD, Duncan.(1995).Practical computer ethics. Cambridge: McGraw-Hill Company.

LEE, Eun-Ju. (2007). Deindividuation effects on group polarization in computer-mediated communication: The role of group identification, public-self-awareness, and perceived argument quality. Journal of communication, 57(2), 385-403.

LEE, Sujin. (2010). Analysis of college students' online lifestyles and their psychological profiles in South Korea. Cyber psychology, Behavior, and Social Networking, 13(6), 701-704.

LESSIG, Lawrence.(2001). Code and other laws of cyberspace. New York.

MASON, Kimberly L. (2008). Cyberbullying: A preliminary assessment for school personnel. Psychology in the Schools, 45(4), 323-348.

MOOR, James H. (2005). Why we need better ethics for emerging technologies. Ethics and information technology, 7(3), 111-119.

MORNINGSTAR, Chip & RANDALL, Farmer.(2003).The Lessons of Lucasfilm's Habitat. The New Media Reader. Ed. Wardrip-Fruin and Nick Montfort: The MIT Press.pp.664-667.

NAMLU, Aysen Gurcan et ODABASI, Hatice Ferhan. (2007). Unethical computer using behavior scale: A study of reliability and validity on Turkish university students. Computers & Education, 48(2), 205-215.

NETWORK WORKING GROUP. Ethics and the Internet. At: <https://tools.ietf.org/html/rfc1087> Retrieved 14 March 2019.

PEDERSEN, Darhl M.(1997). Psychological functions of privacy. Journal of Environmental Psychology, 17(2), 147-156.

PHILLIPS, Melodie R. et HORTON, Veronica. (2000). Cybercheating: has morality evaporated in business education?. International Journal of Educational Management, 14(4), 150-155.

POSTMES, Tom et SPEARS, Russell. (1998). Deindividuation and antinormative behavior: A meta-analysis. Psychological bulletin, 123(3), 238.

RALLAPALLI, Kumar C., VITELL, Scott J., WIEBE, Frank A., et al. (1994). Consumer ethical beliefs and personality traits: An exploratory analysis. Journal of Business Ethics, 13(7), 487-495.

RAWLS, John.(1971). A theory of justice. Harvard university press.

Robertson, T. S., & Kassarian, H. H. (Eds.). (1991). Handbook of consumer behavior. Prentice Hall.

ROSS, Glenn F. (2005). Cyber-tourism and social capital: Ethics, trust and sociability. Tourism Recreation Research, 30(3), 87-95.

STRATE, Lance.(1999).The varieties of cyberspace: Problems in definition and delimitation". Western Journal of Communication. 63 (3): 382–412.

TAVANI, Herman T.(2011) Ethics and technology: Controversies, questions, and strategies for ethical computing. John Wiley & Sons.

TAVANI, Herman T. (2013) Cyberethics. In: Runehov A.L.C., Oviedo L. (eds) Encyclopedia of Sciences and Religions. Springer, Dordrecht.

TEIXEIRA, Marcelo Mendonça. (2012). Cyberculture: From Plato To The Virtual Universe. The Architecture of Collective Intelligence. Munich: Grin Verlag.

TRRRY, Flew. (2002). New Media: An Introduction. Oxford University Press.

UNDERWOOD, Jean et SZABO, Attila.(2003). Academic offences and e-learning: individual propensities in cheating. British Journal of Educational Technology, 34(4), 467-477.

VITELL, Scott J., SINGHAPAKDI, Anusorn, et THOMAS, James. (2001). Consumer ethics: an application and empirical testing of the Hunt-Vitell theory of ethics. Journal of Consumer marketing, 18(2), 153-178.

WHITTIER, David.(2007).Cyberethics in the Googling age. Journal of Education, vol. 187, no 2, p. 1-86.

WILLARD, Nancy. (2005). Educator's guide to cyberbullying addressing the harm caused by online social cruelty. Retrieved July, 19, 2005.

ZHAI, Philip.(1998).Get Real: A Philosophical Adventure in Virtual Reality. New York: Rowman & Littlefield Publishers.

ZIMBARDO, Philip G. (1969). The human choice: Individuation, reason, and order versus deindividuation, impulse, and chaos. In Nebraska symposium on motivation. University of Nebraska press.